

السيرة الذاتية وتجلياتها في رواية
"يا صاهبي السجن" لأيمان العتوم

*The Autobiography and Its Reflections in the Novel
"Oh My Friend of the Prison" by Ayman Al-Atoum*

د. خديجة الشامخة

جامعة غرداية، مخبر التراث الثقافي واللغوي
والأدبي في الجنوب الجزائري، كلية اللغة والأدب
العربي- الجزائر

khadidjachamkha@gmail.com

أ. خولة حجاب*

جامعة غرداية، مخبر التراث الثقافي واللغوي
والأدبي في الجنوب الجزائري، كلية اللغة والأدب
العربي- الجزائر

khawlahadjab89@gmail.com

المخلص	معلومات المقال
تعتبر الرواية جنسا أدبيا شغل المنظرين والنقاد ، في محاولة ضبط مفهومها و الإحاطة بحدودها وعناصرها ، باعتبارها فنا سرديا متميزا في المجال النثري بكمية تنوعها وتداخلها مع العديد من النصوص النثرية الأخرى مثل : المقال و الخطبة و السيرة الذاتية. هذا التمايز الحاصل بين الفنون النثرية فتح الباب على مصراعيه لدراسة ما يسمى بتداخل الأجناس الأدبية ، ومن بين الأجناس التي تداخلت معها الرواية نجد السيرة الذاتية كجنس في أدبي مختلف فتح المجال للكتاب لتسجيل سيرهم وتجاربهم الماضية لكن وفق ما تقتضيه العناصر	تاريخ الإرسال: 2021/04/19
	تاريخ القبول: 2021/05/26
	الكلمات المفتاحية: ✓ الرواية ✓ السيرة الذاتية ✓ السرد

<p>الفنية النثرية للنص من سرد وشخصيات وتخيل وزمن ومكان ووصف . فخلق هذا التجانس ما يسمى ب فن الرواية السيرة أو الرواية السيرة ذاتية. وتعتبر رواية "يا صاحبي السجن" واحدة من بين النماذج الروائية التي يستشف فيها راويها " أيمن العتوم" تجربته العميقة خلف قضبان السجن وهي التي وقع عليها اختياري للتطبيق عليها كنص روائي سير ذاتي. وعليه فالهدف المراد البلوغ إليه من خلال هذه الدراسة ، هو بيان العلاقة بين الرواية والسيرة الذاتية كجنسين أدبيين جمع بينهما ما يسمى بتداخل الأجناس الأدبية، مع فك رموز المصطلحات النظرية في النص الروائي الذي بين أيدينا، والكشف عن تمظهرات السيرة الذاتية داخل النص : (الزمن، المكان، الشخصيات، تطابق السارد و المؤلف والشخصية الرئيسية ، ميثاق السيرة الذاتية.</p>	<p>✓ بنية النص ✓ ميثاق السيرة.</p>
<p>Abstract :</p>	<p>Article info</p>
<p><i>The novel is considered a literary genre that has occupied theorists and critics in trying to control its concept and make aware of its limits and elements. As a distinct narrative art in the field of prose in the amount of its diversity and overlapping with many other prose texts such as: essay, sermon, and autobiography.</i></p> <p><i>This distinction between the prose arts has opened the door wide for studying the so-called overlapping literary genres, Among the races with which the novel intertwined, we find the autobiography as a different literary genre, which opened the way for writers to record their biographies and past experiences, but according to the requirements of the prose technical elements of the text of narration, characters, imagination, time, place and description.</i></p> <p><i>This homogeneity created what is called "the art of autobiographical novel" or "autobiographical novel."</i></p> <p><i>The novel, "Oh My Prisoners," is considered one of the fictional models in which its narrator, Ayman Al-Atoum, discovers his deep experience behind prison bars, which I chose to apply to it as an autobiographical fictional text.</i></p> <p><i>Accordingly, the aim to be achieved through this study is to</i></p>	<p>Received 19/04/2021</p> <p>Accepted 26/05/2021</p> <p>Keywords:</p> <ul style="list-style-type: none"> ✓ the novel ✓ the autobiography ✓ the narration ✓ the text structure ✓ the autobiography charter

clarify the relationship between the novel and the biography as two literary genres between them, which is called the overlap of literary genres, with deciphering the theoretical terms in the fictional text that is in our hands, and revealing the manifestations of the autobiography within the text: (Time, Place, characters, narrator, author and main character match, biographical charter.

تمهيد:

تعتبر الرواية العربية جنسا أدبيا راسخا في مجال الكتابة الفنية، وقد شغل المنظرين والنقاد لفترة لا يستهان بها في محاولة منهم لضبط مفهومها، وترسيم حدودها، وخصائصها ومميزاتها، التي تتفرد بها عن بقية الفنون الأدبية النثرية منها والشعرية الأخرى.

فبالنسبة للعرب، كان للشعر سطوته الكبرى على المجال الأدبي والفني التعبيري، ولم يتم الحديث عن مختلجات النفس وتجارب الحياة (المعارك، حياة القبائل، الطبيعة المحيطة بالشاعر...الخ) سوى بالشعر الموزون المقفى.

وعبر الاحتكاك الثقافي الذي نشأ مع بقية الأمم والتراجم والسير، عرف المجتمع العربي فنونا مستحدثة نثرية غير الشعر، ومن بينها الرواية حسب ما جاء في التيار التغريبي الذي يحيل جذورها الأولى إلى الغرب.

وقد كان للرواية ارتباطات عديدة مع غيرها من الأجناس الأدبية الأخرى، وذلك راجع لتجاوزها حدود نوعها كونها أصبحت تمتلك وشائج مع أنواع نثرية مختلفة مثل الملحمة، والسيرة، والحكاية وهذا فالرواية لم تعد تنحصر في

شكلها التقليدي الأحادي، بل لقحت مع الأجناس الأدبية الأخرى، وتنوعت موضوعاتها وعلائقها وأخذت من تقنياتها ووظفتها في متنها وهذا عرف ما يسمى بتداخل الأجناس الأدبية، والذي خلق أنواعا فنية أخرى مثل الرواية السيرة الذاتية والتي تجمع بين فنين أدبيين نثرين هما (الرواية والسيرة) وتعد رواية " يا صاحبي السجن" أنموذجا روائيا تجريبيا تداخلت فيه سمات الرواية مع النص السير ذاتي، في مواكبة لمستجدات الحياة الفكرية والسياسية والاجتماعية، ومعايشة التجارب المختلفة التي يدونها الكتاب عبر نصوصهم، كمثل تجربة السجن التي يرويها الكاتب في هذه الرواية السيرة

ومن هذا المنطلق تتأتى هذه الورقة البحثية لتستشف التجربة الروائية السير ذاتية، من خلال تجربة الكاتب " أيمن العتوم" في روايته " يا صاحبي السجن"، والتي من خلالها سنقف على أبرز الجوانب الفنية في نصه، والذي يجمع بين جنسين أدبيين مختلفين، هما الرواية والسيرة الذاتية، وعليه كان لابد من طرح تساؤلات الدراسة الآتية لمحاولة الإجابة عنها عبر سطور هذه الورقة البحثية: ماهي محددات السيرة الذاتية؟ وما الفرق بينها وبين الرواية؟ وكيف تظهت تقنيات السرد في الرواية السيرة الذاتية" يا صاحبي السجن"؟ وماهي أهم الخصائص الفنية والجمالية التي تميزت بها هذه الرواية؟

منهجية البحث:

تقوم منهجية البحث على استقراء الرواية، واعتماد الأدوات الإجرائية والتقنيات المعتمدة في تحليل الخطاب، والوقوف على ملامح النص الروائي من حيث اللغة والتعبير الوظيفي (توظيف الزمان، والمكان، والشخصيات)، متبعة في ذلك كله أسلوب التحليل للكشف عن البناء والتحويلات السردية في هذا النص الروائي السير ذاتي الجديد.

وقد اعتمدت في هذا البحث على خطة مبسطة هي كالتالي: التعريف بالرواية، والسيرة الذاتية، وتداخلهما كجنسين أدبيين مختلفين خلقا نوعا مستحدثا مميذا على الصعيد الفني، وبنية الخطاب السردية وتطبيقاته على النص الروائي " يا صاحبي السجن"، وفي النهاية خاتمة تجمع النتائج المتحصلة عليها كإجابات للإشكالية، وقائمة المصادر والمراجع.

1. مفاهيم ومصطلحات:

1.1. السيرة الذاتية:

قبل الحديث عن مفهوم السيرة الذاتية ورواية السيرة الذاتية كمصطلح أدبي نشأ عن تداخل الأجناس الأدبية، لابد من الإحاطة بمصطلح الرواية وضبطها مفهوما باعتبارها هي الوعاء الشامل الذي يجمع كل هذه المصطلحات ضمنها لخلق أنواع فنية مستحدثة، حيث تعتبر الرواية جنسا أدبيا شغل المنظرين والنقاد لفترة لا يستاهن بها في محاولة ضبط مفهومها والإحاطة بحدودها وعناصرها وكل ما يميزها عن غيرها من الأنواع الأدبية النثرية والشعرية الأخرى. فبالنسبة للعرب فقد كان للشعر سطوته الكبرى على المجال الفني لدى الكتاب والأدباء، ولا يتم التعبير عن مختلفات النفس الإنسانية سوى بقصائد شعرية تستشف مغاور

النفس، فيعبر الشاعر عن متطلباته وبطولاته ومعارك قبيلته ويدون تاريخه وتاريخ قومه وبطولاتهم بشعر موزون ومقفى.

وكان يعتبر النثر وقتها كنوع نادر الظهور وفي العصر العباسي الذي تم فيه الاحتكاك ببقية الأمم والنهل من مصادرها العلمية والأدبية عرف المجتمع العربي وقتها النثر على شكل الخطابة ومن زمنها تطور ليشمل الكثير من الأنواع وصولاً إلى الشكل الروائي الذي نعرفه في بدايته.

وكأي نوع أدبي مستجد فقد عرفت الرواية جدلاً بين المنظرين حول تعريفها الثابت والذي لا زال لم يضبط بشكل تام لتوسع موضوعات الرواية وتداخل الأجناس الأدبية فيما بينها بين الرواية الملحمية والرواية السيرة والرواية التاريخية والرواية العلمية.

هذا التنوع خلق الكثير من التعريفات المختلفة لجنس الرواية، حيث يعتقد كثير من المنظرين بأن الرواية جنس أدبي ظهر في العصر الحديث، فالفيلسوف "هيجل" يربط ظهور الرواية بتطور المجتمع البرجوازي، وفي دراسته للشكل الروائي يقيم تعارضاً بين الشكل الملحمي والشكل الروائي، حيث تتميز الملحمة بشعرية القلب بينما تتميز الرواية بنثرية العلاقات الإجتماعية (بوعزة، 2010، صفحة 18)

إن الرواية كانت قبل القرن الثامن عشر أفقر الأجناس الأدبية وعدت جنساً مرفوضاً لدى عامة القراء وحتى النقاد بيد أن الرومانسية "أعادت لها الاعتبار فسمت بها إلى أعلى هرم نظرية الأجناس الأدبية لكون هذا الجنس يضم كل الأجناس والأنواع الأخرى ضمن بوتقة فنية واحدة مترابطة ترابطاً عضوياً وموضوعياً. (الأسدي، 2019، صفحة 59)

تعتبر الرواية العربية المعاصرة نوعاً مثيراً للتميز كونها "تنزع عنها كل السبل التقليدية في البناء والصيغ المعتادة لتجتبرح لنفسها متناً لغوياً جمالياً ينزع نحو التجريب والتجديد، وعدت الرواية الجنس الأدبي الوحيد الذي لازال مستمراً في عملية التطور وبالتالي لم يكتمل شكله لان" (الأسدي، 2019، صفحة 59) وعليه فإن الرواية العربية لازالت مفتوحة المجال في ضبط تعريفها بسبب ظهور ما يسمى بتداخل الأجناس الأدبية والذي يعد باباً واسعاً يخلق مزيداً من الإنتاج الروائي المتداخل مع العديد من الأنواع النثرية المختلفة فتنشأ منها مسميات مستحدثة للرواية ومن بينها نذكر التداخل القائم بين الرواية والسيرة الذاتية والذي نشأ منها ما يسمى بالرواية السيرة ذاتية والتي هي مجال بحثي في هذه الورقة البحثية، فما هي السيرة الذاتية؟

السيرة الذاتية جنس أدبي نثري قائم على سرد أحداث تتعلق بالشخوص سواء شخصية الكاتب ذاته أو شخصيات أخرى، وأخذت السيرة الذاتية عند الغرب في بداية تشكلها معنيين إحداهما تعد السيرة حياة مكتوبة من طرف فرد ما والآخر بوصفها نصا يعبر مؤلفه عن حياته وأحاسيسه .

فالسيرة الذاتية تتأسس فنيا على تجسيد حياة ما وما يحفل بها من أحداث لتدخل بتفاعل كبير مع القارئ الذي ستتفاعل لديه جمالية التلقي من رؤيته لنفسه في تلك السير. والسيرة الذاتية حكي استعادي يسترجع فيه الكاتب أحداثا مرت به في حياته السابقة أو تجربة محددة" كمثال تجربة السجن لدى " أيمن العتوم" في روايته " يا صاحبي السجن" التي اعتمدهما في بحثي هذا حيث يستطرد فيها فترة زمنية مرت به وهو وراء قضبان السجن، وعملية الحكي هنا في هذا النوع الفني الأدبي يقوم به شخص واقعي عن وجوده الخاص وذلك عندما يركز على حياته الفردية وعلى تاريخ شخصيته بصفة خاصة (الأسدي، 2019، صفحة 70)

إن السيرة الذاتية ليست إلا شكلا من أشكال السرد الذي يحكي فيه صاحبه تفاصيل من حياته . وككل أشكال السرد التي عرفها الأدب، فللسيرة الذاتية مؤلف يكتبها وسارد يسردها وقارئ فضولي يقرأها.

وثمة مقام سردي ومقام كتابي، وما تتميز به السيرة الذاتية وتنفرد به عن النوع الروائي المعروف على الصعيد الأدبي هو هذا الالتباس القائم بين المقامين السردية والكتابي . فالسارد نظريا ليس كائنا ورقيا أو خياليا من صنع المؤلف بل كائن أنطولوجي حقيقي هو المؤلف ذاته والقارئ ليس قارئاً مفترضا يخاطبه السارد بل هو قارئ حقيقي يخاطبه المؤلف يبرر له حياته كما أسلفنا أو يعرض عليه شهادة أو يعترف له بأخطاء كان قد اقترفها في حياته الخاصة .

وعليه لا بد لهذا النص أن يقع تحت قوانين النصوص السردية والروايات المكتوبة بما يحيط بها من فن كتابي تتميز به عن بقية النصوص الأخرى، وبالتالي فنحن في السيرة الذاتية إزاء مقامين متطابقين: مقام السرد ومقام الرواية (البارودي، 2005، صفحة 02)

سيرة ذاتية من خلال التقديم لكتابه بأن ما سيورده هو من قبيل الحياة الواقعية للمؤلف ويثبت ذلك كتابيا وتصريحا بأن الرواية هي من مستخلص حياته أو يمكنه الإشارة إلى ذلك

ضمنيا ليزيل اللبس عن ذهن القارئ ويضعه في قالب الحقيقة الكتابية لهذا النص أي أنه ليس من نسج الخيال بل كل أحداثه من الواقع المعاش.

وعليه فالسيرة الذاتية هي: "جنس أدبي نثري قائم على سرد أحداث تتعلق بالشخص، سواء شخصية الكاتب ذاته أو شخصيات أخرى" (خليل، 2010، صفحة 291) ويرجع البعض ظهور مصطلح السيرة الذاتية" إلى عام 1809م على يد الناقد والشاعر الإنجليزي " روبرت سوزي"، وهناك من يذهب إلى العام 1797م، حيث استعمل المصطلح لأول مرة في احد الدوريات الأدبية بينما يربط آخرون المصطلح بظهور اعترافات " جان جاك روسو" في القرن الثامن عشر. ولعل أقدم السير في الفكر اليوناني هما ملحمتا الإلياذة والأوديسة لهوميروس. (البارودي، 2005، صفحة 02)

ولعل أبرز من نظر لمصطلح السيرة الذاتية هو "فيليب لوجون"، " إذ يرى أن السيرة الذاتية هي حكي استعادي نثري، يقوم به شخص واقعي عن وجوده الخاص، وذلك عندما يركز على حياته الفردية، أو على تاريخ شخصيته بصفة خاصة" (الأسدي، 2019، صفحة 71) ويمكن عد السيرة الذاتية، أقرب أنواع الأجناس إلى روح الكاتب، " فهي أكثر توقدا وتأثيرا بوصفها تكتب عن تجربة ذاتية، فلا يحتاج المؤلف فيها إلى إشغال خياله لخلق أحداث غير موجودة ومحاولة تحقيقها على أرض الرواية كتابيا" (الأسدي، 2019، صفحة 72) بل يكفي باسترجاع الأحداث من ذاكرته بتفاصيلها وصفاتها وأدق خباياها، ومن ثم تدوينها كتابيا في متنه الروائي، دون الحاجة إلى إعمال الخيال لسرد الأحداث بشكل مترابط، وخلق مشاهد قد لا تكون موجودة، وتحتاج إلى خيال واسع لإعادة خلقها سرديا.

ويمكن عد السيرة الذاتية اقرب أنواع الأجناس إلى روح الكاتب فهي أكثر توقدا وتأثيرا بوصفها تكتب عن تجربة ذاتية" فلا يحتاج المؤلف فيها إلى إشغال خياله لخلق أحداث غير موجودة ومحاولة تحقيقها على أرض الرواية كتابيا وإنما يسترسل في تحريك ذاكرته واستخراج الأحداث بتفاصيلها من صميم حياته وفي هذا من اللذة والتأثير ما يحبب الكاتب في هذا النوع الفني أكثر من غيره من الأنواع الأخرى فهو يستشف مغاور نفسه ومداخلها ويصف مشاعره كما عاشها بتفاصيلها، بحزنها وفرحها وألمها.

وعليه فالسيرة الذاتية، هي عبارة عن عمل سردي يوظف فيه كاتبه عصارة حياته، وأحداث وتجارب عميقة مرت به يوظفها في قالب معين بهدف ذاتي، إما لأخذ العبرة أو تصحيح فكرة، أو تنفيس عن الذات أو دفاعا عن قضية اجتماعية أو سياسية يعتنقها.

1.2. الرواية السيرة ذاتية وتداخل الأجناس الأدبية:

لحق الإبداع الأدبي جملة من التحولات تأرجح فيها بين نقاء الجنس وتداخل الأجناس وفي كل التحولات كان سؤال النقد حاضرا دائما، فهو يسأل الظاهرة الإبداعية ويبحث في أسسها، ويحاول الكشف عن أبعادها وجمالياتها، وبالمقابل كان فعل التجاوز المستمر لحدود الجنس الأدبي والثورة عليه، وتحطيم قيوده مجالا رحبا لحيوية الإبداع، حتى صار بمثابة اعتقاد أن الإبداع الجدير بالبقاء هو الإبداع المتفرد، الذي يكتسي تفردته بتفاعله الإيجابي مع ثنائية الخرق والإتباع. فهو يتميز بالسكون والهامشية بمقدار إتباعه، ويتعلق بالحركة والمركزية بمقدار ما يخرق من قواعد، ويتجاوز من حدود، ويشكل لهوية جديدة. (عروس، تداخل الأجناس الأدبية في النقد المعاصر، 2014)

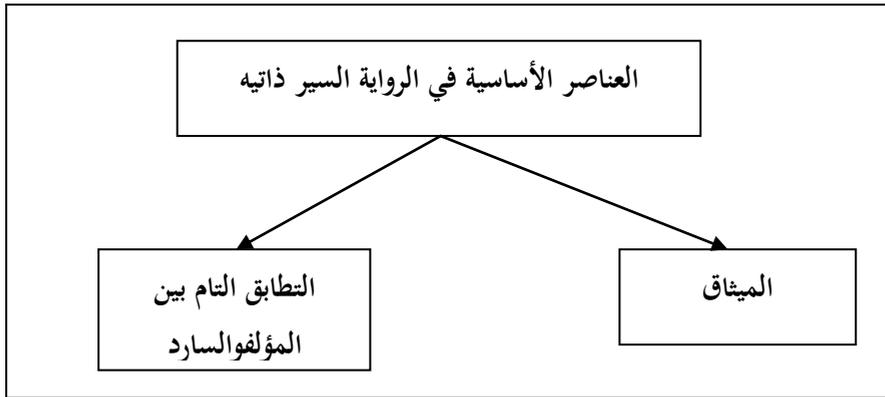
مع تقدم نظرية الأدب وتعدد مفاهيم النص الإبداعي، فقد تحولت تنظيرات المفكرين واللغويين الذين خاضوا في مجال التأسيس للتفاعل الأجناس والتداخل إلى آثار نصية متداخلة، فقد أبرزت الآثار الإبداعية العديد من التداخلات على مستوى النص الأدبي... ليس على مستوى تداخل الأجناس النثرية فقط بل على مستوى اختلاط ما هو سردي بما هو شعوري واختلاط الأجناس

التي هي ذات مرجعيات غربية مع الأجناس الأخرى التي تمتلك أصلا عربيا في الأشياء والتأسيس والتنظير، ففي العصر الحديث " اخذ الكثير من القصائد شكل الرسالة في الغرض والخطاب كما تطورت الرسائل في الأندلس بالقرن الخامس للهجرة من حيث الموضوعات والأغراض فقد تطورت من " الناحية الفنية أيضا إذ استطاع الكتاب أن يرتقوا بأساليب تعبيرهم وأن يتفننوا فيها حتى لتبدو بعض رسائلهم وكأنها منثور لا ينقصه غير الوزن والقافية. (الأسدي، 2019، صفحة 103)

يجب أن نعترف بأنه لا وجود لأي فارق بين السيرة الذاتية ورواية السيرة الذاتية، إذا ما قررنا البحث فيهما على مستوى التحليل الداخلي للنص، " فكل الأساليب التي تستعملها السيرة الذاتية من أجل إقناعنا بواقعية محكمها، يمكن أن تقلدها الرواية " وعليه فإن الرواية السير

ذاتيه تعرف على أنها: " سرد نثري سير ذاتي يتوجه فيه الراوي إلى تقويم سيرتي لتجربته الروائية، يشتمل على نقل حكايته مع الرواية، والكتابة الروائية إلى القارئ" (الأسدي، 2019، صفحة 73) ومما تجدر الإشارة إليه، أن معظم النظريات تربط جنس الرواية بالمتخيل، وبالمقابل تربط السيرة الذاتية بالواقع. "حيث تتبنى السيرة الذاتية على تصريح الكاتب بأنه يحكي حياته ويعرض مسار أفكاره ومشاعره." (لوجون، 1994، صفحة 38) هذا التصريح يشكل ما يسميه " فيليب لوجون" "بميثاق السيرة الذاتية. بالمقابل تتبنى الرواية على ميثاق تخييلي يصح فيه الروائي بأن ما يحكيه هو من صنع التخيل، وأي تشابه بين الأحداث والواقع هو محض صدفة." (لوجون، 1994، صفحة 38) ومن خلال ما سبق نصل إلى أن الدارسين حددوا عناصر أساسية تتبنى عليها الرواية السير ذاتيه، وسأدرجها من خلال النموذج التالي:

شكل 1: عناصر السيرة الذاتية



المصدر: من إعداد الباحثين

. تحليل رواية يا صاحبي السجن:

1.2. نبذة عن الراوي:

يعتبر الشاعر د. أيمن علي حسن العتوم من الشعراء الكبار في الأدب الأردني الحديث والذي ولد سنة 1972م بمنطقة جرش- الأردن، حصل الشاعر على شهادة الدكتوراه من

الجامعة الأردنية سنة 2007م في فرع اللغة العربية وآدابها. كما عمل الشاعر في مجال الهندسة المدنية حيث صار عضواً بهيئة الأدباء المهندسين.

له إنتاجات أدبية قيمة يمت معظمها بصلة وثيقة إلى فكرة الصمود والمقاومة وتجسيد ما حل بالبلدان الإسلامية خاصة فلسطين المحتلة من نكبات وثورات ومجازر بشعة.

يقول " أيمن العتوم" عن مهمة الأدب: " رسالة الأدب المقاومة، ويجب على كل مثقف عربي أن يحملها ويتبناها. فالمثقفون العرب مطالبون بأن تكون قصائدهم وكتاباتهم موجهة ضد الاحتلال وضد التطبيع، ومع المقاومة ومع رسالة المقاومة (فارساني، 2019، صفحة 04)

2.2. حول رواية يا صاحبي السجن:

جاءت رواية " يا صاحبي السجن" لكتابتها " أيمن العتوم" في ثلاثمائة وثلاثة وأربعون صفحة، حوت سبعة عشر فصلاً معنوناً باقتباسات قرآنية، اعتمدها الكاتب لإعطاء لمحة دينية عن موضوعاته في كل فصل، وما يلاحظ عن تلك الفصول هو ترابطها فكرياً وسردياً، فالكاتب يروي الأحداث التي مر بها في خلال فترة سجنه، وما قبلها، وما بعدها في فصول متقاطعة بعناوينها، وصفحاتها ومتراصة بتسلسلها الفكري.

تعد رواية يا صاحبي السجن، الأولى لكتابتها وقد صدرت عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر، وأغلب صفحاتها تدور حول مذكراته في مرحلة سجنه، وهذا يمكن وصفها بأنها رواية سير ذاتية، فهي سيرة ذاتية من ناحية أن الكاتب يتحدث عن نفسه ويسترجع ذكرياته، ويصف شخصيات حقيقية عايشته معه تجربته حيث يصرح بهذا قائلاً " أنا شاعر بسيط يحاول أن يتلعب آلة الزمن ليرجع بذاكرته إلى الوراء قليلاً فيكتب ما غيبته سجون الأيام والسنين..."(العتوم، 2016، صفحة 07)وهي رواية لأن فيها كل مكونات النص الروائي المعروفة على الصعيد الفني الأدبي، وقد حملت في تضاعيفها " سبراً لغور النفس الإنسانية، ومن هذه الفصول نقرأ العنوانات الآتية: " يقص الحق، ادخلوا مساكنكم، اقرأ كتابك..." حيث وسمها الكاتب بيا صاحبي السجن، فبدأ يجمع من الغبار المتناثر في الأجواء خيوط حكاية أعاد نسجها ليخرج ثوباً جديداً، وقد غاص الكاتب متئداً في ذاكرته، متوجساً من لسان التاريخ الذي ما رحم المزايدين ولم يغفر للكذبة" (السبيل، 18 ربيع الأول 1442)

3.2. تعريف أدب السجون: وكما سبق ذكره عن كون الرواية مجتمع البحث تندرج ضمن ما يسمى بأدب السجن، كان لابد من التعرّيج لضبط مفهوم هذا المصطلح، فكتابات السجن رافد

هام من روافد الأدب العربي الحديث، اسهم فيه بدرجات متفاوتة رجال ونساء، ليبراليون وشيوعيون و إسلاميون و أفراد لم ينتموا لأي من هذه الاتجاهات السياسية، وكتاب مهمتهم الكتابة، وكتاب كان نص السجن هو نصهم الوحيد، سجلوا فيه تجربتهم ثم مضوا إلى أشغالهم وتخصصاتهم الأخرى، وتشمل هذه الكتابات فضلا عن اليوميات والسير الذاتية و الروايات و القصائد والمسرحيات ، شهادات لا حصر لها ومقابلات وشذرات.

باختصار لدينا مادة هائلة تطالب الباحثين بفحصها وتحليل خطابها وتتبع سماتها و أشكال حوارها مع واقعها التاريخي، من منظور الدراسات التاريخية و السياسية و الاجتماعية و النقدية أو بدراسات بينية تجمع في مقاربتها بين أكثر من مجال بحثي. (يوسف، 2014، صفحة 11). حيث يرى الأدباء والنقاد أن أدب السجون ، هو الذي يكتبه الأسرى في المعتقلات ، ويستوفي الحد الأدنى من الشروط، وما يكتب عن السجون و الأسرى خارج السجن من غير الأسرى أو من المحررين لا يعد أدب سجون، وممكن تسميته " أدب عن السجون"، هنالك الكثير من الأدباء ممن اجتهدوا في تعريف " أدب السجون" ، وجميعها متشابهة في مضمونها وأصولها، ومختلفة قليلا على الحدود والمساحات، والأجناس والتصنيفات. (يوسف، 2014، صفحة 11)

- تحليل رواية يا صاحبي السجن:

4.2. عتبة العنوان: البحث عن لفظة العنوان كما هي بلفظها في معجم لسان العرب لابن منظور نجده في مادتين الأولى "عن" والثانية "عنا" والأولى يقصد بها "عننت الكتاب و أعننته لكذا أي عرضته و صرفته إليه. وعن الكتاب يعنه عنا وعننه: كعنونته وعلونته بمعنى واحد مشتق من المعنى" (منظور، 1988، صفحة 486). إذن فالعنوان هو "بوابة العمل الروائي ومن خلاله تفتح الأبواب المغلقة، فهو المبين والشارح لما يدور من أحداث في الرواية، فالقارئ يبدو أحيانا مندهشا بذلك العنوان ، ولكن حينما يعرف مقصده وما يرمي إليه و إشاراته ينفرج ذلك الاندهاش. (حسين، 2017، صفحة 12)

وقد سلك أيمن العتوم من خلال كتابته لعنوان روايته هذه بهذا الشكل والضبط اللفظي، مسلكا طويلا داخل السجن وتجرع ويلاته وتعرف فيه على العديد من السجناء على اختلاف أصنافهم ومعاييرهم الشخصية وانتماءاتهم السياسية على المقام الأول حيث لم يتوانى من خلال صفحات الرواية على سرد أوصافهم الجسدية والنفسية وذكر مميزاتهم وحتى مساوئهم وقد يتبادر إلى ذهننا من اللحظة الأولى لقراءة النص أن أقرب السجناء إلى العتوم هما

"علي" و"عكرمة" وأيضا نذكر مصعب الزرقاوي السجين الذي نال العفو الملكي وغادر غياهب السجن فكان الأمل الذي علق عليه بقية السجناء بارقة فرجهم من السجن فحملوه رسائلهم وشكاويهم إلى المسؤولين للنظر في ظروف سجنهم، فكان حالهم جميعا - العتوم وصاحبيه علي وعكرمة، ومصعب الزرقاوي- كحال يوسف وصحبه حين زج به في سجن عزيز مصر، فجاء عنوان الرواية" يا صاحبي السجن" "متناصا مع قصة يوسف عليه السلام، والتناص عمل تفاقفي من طبيعته التمثل والحوار والتفاعل مع الآخر، والاهتمام بطاقة العنوان السيميائية تدفعنا إلى قراءة مستوى العنوان في مستوى العنوان في تناصاته مع الموروث: الكتب المقدسة أو الموروث الفكري والأدبي العربي والعالمي، وكثيرا من الروائيين من أتى بعناوين متناصا مع الموروث الأدبي والثقافي والديني" (العتوم، 2016، صفحة 13)

كما تحفل العناوين الفرعية لهذه الرواية برموز كثيرة وتلميحات جاذبة للانتباه، إذ تنبئ كلها على شكل اقتباسات قرآنية تحيل مجددا بنظر المتلقي إلى الجانب الديني في النص، وقد تكون هذه الطريقة المعتمدة في العنونة الفرعية مستجدة من طرف الكاتب، ميز بها نصه الروائي عن غيره من النصوص السابقة، ربما لجذب الانتباه الأدبي لذهن المتلقي من جهة، و لتبيين نزعتة الدينية والتي يتجلى بأنه أهم سبب أدى إلى اعتقاله، وبهذا يظهر التحدي بتصريحه الصارخ من خلال العنوان الرئيسي والعناوين الفرعية لنصه الروائي، بأنه لازال متمسكا بجانبه الديني، ولا يخشى التصريح به علنا. نذكر من بين العناوين الفرعية " ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها" وهو عنوان مقتبس من الآية رقم أربعين من سورة النور، " وما نؤخره إلا لأجل معدود" وهو عنوان مقتبس من الآية رقم مئة وأربعة من سورة هود، والعنوان الذي يختم به "فهل إلى خروج من سبيل" وهو مقتبس من الآية رقم أحدا عشر من سورة غافر.

2-5- الفضاء الروائي لرواية يا صاحبي السجن:

أ/المكان: يعرف الباحث السيميائي "لوتمان" المكان بقوله: "هو مجموعة من الأشياء المتجانسة (من الظواهر، أو الحالات، أو الوظائف، أو الأشكال المتغيرة...) تقوم بينها علاقة شبيهة بالعلاقات المكانية المألوفة/العادية(مثل الاتصال، المسافة...)" (بوعزة، 2010، صفحة 99)

"فهو موطن الشخصيات الذي تتجسد فيه صفاتها و أبعادها السردية.يقول"غاستون باشلار" واصفا المكان في العمل الأدبي "ليس مكانا هندسيا خاضعا لقياسات وتقسيم الأراضي، وإنما هو

ذلك المكان الذي يعيشه الأديب كتجربة ، والمكان لا يعيش على شكل صور فحسب بل يعيش داخل جهازنا العصبي كمجموعة من ردود الفعل. (كشتو، 2020، صفحة 97) وعليه فالمكان في رواية " يا صاحبي السجن" يأخذ موقعا مهما من سرد الأحداث، لأنه يمثل إلى جانب الزمان " الإحداثيات الأساسية التي تحدد الأشياء الفيزيقية. فنستطيع أن نميز فيما بين الأشياء من خلال وضعها في المكان، كما نستطيع أن نحدد الحوادث من خلال تأريخ وقوعها في الزمان" (بوعزة، 2010، صفحة 99) والمكان الموظف في الرواية، هو مكان واقعي مستوحى من معايشة العتوم الحقيقية له حيث ذكر أماكن جغرافية موجودة بأدق تفاصيلها في شكل استرجاعي لماضييه، وهذا من مميزات السيرة الذاتية التي تستوجب ذكر الأماكن والأحداث والزمان بحقيقتها وجغرافيتها وتواريخها. ومن خلال الرواية نستشف نوعين من الأماكن التي أدرجها الكاتب:

أولها: الفضاء خارج السجن: ويشمل كل من :

البيت: والذي شكل حضورا مقتضيا في الرواية، ويعتبر البيت كفضاء محبب لروح الكتاب على اختلافهم كونه يعبر عن الراحة والسكينة والأمان "والأمتار القليلة التي تفصلني عن البيت تخفف من غلواء العرق الذي لا يفارقني مع كل مشوار" (العتوم، 2016، صفحة 11) كما ارتبط البيت بالألم وبانتظارها لأولادها ولو على كبرهم فيقول " خطوات أخرى وستكون أمني على الشرفة تنتظرني" (العتوم، 2016، صفحة 12)

الغرفة: وهي المكان الذي يجد فيه الكاتب راحته الفكرية ليتسامر هناك مع أوراقه وكتبه وكل ما يروي نهامته الفكرية فيقول "كانت غرفتي متواضعة الأثاث، تخلو من كل شيء عدا مكتبي الذي تناثرت فوقه بعض الكتب والأوراق، ومكتبتي التي تحوي من نثرات قصائدي أكثر مما تحتويه من الكتب..." (العتوم، 2016، صفحة 16) ثم نجد فضاء قلعة عجلون وهي مكان محبب إلى روح الكاتب حيث يصفها بالألم البارة بأبنائها. بأنها ملاذ الحرية والتعبير عن معانات الفقراء والمظلومين بالنسبة لها، هي قبلته الأولى التي صدح فيها بقصيدته المعارضة والتي كانت سببا في سجنه لاحقا وكتابة هذه الرواية، إذن قلعة عجلون تعتبر هي الفضاء المنطلق الذي يليه كل السرد الروائي في بقية نص الكاتب فيسترسل واصفا إياها بقوله "شعرت بقلعة عجلون تشدني من يدي إلى زاوية من زواياها القصية، حيث تشكلت القلعة أنثى في ذلك المساء، وراحت تسألني بعض الوقت معها..." (العتوم، 2016، صفحة 09)

ثانيها: الفضاء داخل السجن: وبدوره يحوي على مكانين مختلفين هما "الفضاء المغلق داخل السجن" مثل: (السجن والزنازة وغرفة التحقيق) و"الفضاء المفتوح داخل السجن" مثل: (المكتبة، المزار، الفسحة) فالسجن من خلال وصف الكاتب له، هو ذلك الفضاء الخانق المحصور الذي يكبت الصوت والشعور ويلقي بظلامه على النفس الإنسانية، وبقره وعذابه على ساكنيه، إنه المكان الذي يمارس فيه السجن ظلمه وسطوته على المساجين. يقول الكاتب "كنا كأصحاب الكهف، جمع بيننا سوط السلطة، فأوينا من لسعته إلى هذا الكهف" (العتوم، 2016، صفحة 69) فالسجن في رواية "يا صاحبي السجن" كان فترة مؤلمة ومرهقة لذلك الطالب الجامعي اليافع الذي لم يسبق له دخول معتبرك المواجهة مع النظام ولا تجربة قبضته القاهرة التي طالته بعد تجربته الشعرية المؤثرة فقد كان في السجن عبارة عن "شاعر تؤرقه العزلة عن رفاق الجامعة والأهل.

وعن فضاء السجن يسترسل الكاتب في وصف نوعين منه:

الزنازة: يتنوع الكاتب في طرق بنائه للمكان، تارة بطريقة مباشرة وتارة بطريقة غير مباشرة، ولكن ما يميز وصفه للأمكنة تلك اللغة الأدبية الساحرة في التشبيه والسير في توظيف التشبيه إلى عوالم أخرى ، يصعب للإنسان أن يتخيلها

مهما حاول أن يتأمل بالأمكنة المبنية، أو أن يسلط الضوء على أشياء يتضمنها المكان وتعكس الحالة النفسية التي تعيشها الشخصية. (كشتو، 2020، صفحة 109)

الزنازة الانفرادية باعتبارها مكانا مغلقا ضاغطا وكاتما لكل صوت وشعور فيصفها بقوله "في الزنازين الانفرادية لم يكن أمامي غير أن أقرأ الجدران ووسيلتي الوحيدة للتواصل معها، كانت بأن ألصق وجهي بها، وأستخدم إصبعي كقلم، وفي كورقة..." (العتوم، 2016، صفحة 68) والنوع الثاني هو فضاء المستودع حيث يعتبره أكثر فسحة ورفقة وأفضل بكثير من الزنازة الانفرادية لكون يحوي نزلاء آخرين معه.

ومما تجدر الإشارة إليه أن العتوم اعتمد رؤيته الفنية في وصف البناء الهندسي للزنازين التي أقام بها . فبين زنازته الأولى التي أطال في تقديم صورتها المكانية بكل دقة من خلال التركيز على المسافات طولاً وعرضاً لإعطاء المتلقي نظرة واقعية عن مدى ضيق المكان كسجن يكبت الحرية ويخنق الفكر وحتى يحجب نور الشمس وكل مظاهر الحياة الطبيعية للبشر. ثم يلج إلى زنازته الموالية والتي تكون في غالبيتها عبارة عن مستودعات أو زنازين كبيرة المساحة تضم العديد من

المساجين ممن احتك بهم الراوي وخلق معهم حوارات فكرية وتجارب يومية في سبيل منح الحيوية والحركية لحياتهم داخل هذه الزنازين.

وعن الفضاءات المفتوحة داخل السجن، يصف الكاتب الفسحة ودقائقها القليلة، بأنها ستتحول إلى متعة حقيقية ومتنفس له من قيد الزنازين وظلامها، " كانت الساحة التي تجاور مهجعنا تجسد في تلك المرحلة مفهوم الحرية..." (العتوم، 2016، صفحة 169) من كل ما سبق نجد أن الكاتب يدقق في تفاصيل سجنه، ويعرض المكان بكل حيثياته، ليقترب المعاناة التي يعيشها مساجين الرأي داخل زنازين النظام، وذلك من خلال اعتماده الوصف الدقيق والتفاصيل العميقة للأماكن ليعين عمق تجربة السجن الكابح للحرية من جهة، ويكتشف السجن أغوار نفسه ومواطن قوتها وثورتها من جهة ثانية.

ب/الزمن: لابد من التفريق بين زمن القصة، وهو الزمن الذي استغرقت الأحداث المتخيلة في وقوعها الفعلي، وزمن الحكاية، وهو الزمن المملو، أو المكتوب، الذي يعرض الراوي فيه لتلك الحوادث، عرضاً يجعلها قابلة للقراءة في الحدود التي يسمح بها الوقت" (العتوم، 2016، صفحة 100) فالزمن من خلال الرواية يتجلى على شكل استمرارية سردية. بذكر التتابع الزمني للأحداث منذ لحظة إلقاء القسيمة في قلعة عجلون ذات مساء.

من خلال الرواية يتجلى لنا أن الكاتب اعتمد زمن القصة الذي يتمثل في التتابع، أو ما يطلق عليه باسم السرد النمطي، وقد ظهر ما يسعى بالاسترجاع من خلال عدة مواطن في الرواية حيث يقول "جلست متربعا، وحدقت في العتمة، أردت أن أرى فيها أو من خلالها ما أريد، لم تخذلني في تلك الليلة... استحضرت العائلة بأكملها... أبي وأمي وإخواني وأخواتي، جلسوا من حولي..." (العتوم، 2016، صفحة 27) ومما تجدر الإشارة إليه أن الكاتب اعتمد على الزمن النفسي كثيرا في الرواية من خلال استخدامه للمنولوج الداخلي، حيث استمر على طول النص في الحوار مع نفسه وطرح الأسئلة والإجابة عنها وهذا ما يؤكد استخدام الزمن النفسي، يقول الكاتب " برتابة الزمن هنا، زمن السجناء البطيء، نسيت كيف تسير السيارات... بقيت في تلك الليلة أتذكر كثيرا من الأشياء التي مر الزمن طويل علي دون أن أعيش متعتها..." (العتوم، 2016، صفحة 300). لقد كانت فصول الرواية متداخلة الأزمنة فتارة يعود بذاكرته إلى اليوم الذي ألقى فيه قصيدته لتكون هي زمن الانطلاق، ثم اعتمد زمن الاسترجاع

من خلال تذكر حياته قبل السجن وكل أحداثها، والزمن الحاضر من خلال التحدث عن وقته داخل السجن.

ج/الشخصيات: الشخوص هم الأفراد الخياليون، أو الواقعيون، الذين تدور حولهم الرواية، أو المسرحية " والإبداع في الرواية، والابتكار فيها، رهن بقدرة الكاتب المبدع على إضافة وجوه جديدة لصالة عرض (البورتريهات) التي يتألف منها تاريخنا الأدبي" (خليل، 2010، صفحة 173) نلمس في الرواية شخصيات متعددة نذكر منها "شخصية أيمن"، وهي الشخصية البارزة في الرواية، أو الشخصية المحورية التي تدور حولها كل الأحداث، فهو يمتاز بالشجاعة في مواجهة السلطة، من خلال كتاباته الجريئة والتي كانت سببا في زجه داخل السجن يقول: "لست خائفا..ولماذا أخاف..لم أرتكب ذنبا غير الشعر..هل هو خطيئة؟"(العتوم، 2016، صفحة 10) وعليه فإننا نستشف التطابق التام بين شخصية الراوي أو السارد، والشخصية الرئيسية. فالكاتب أيمن العتوم يدرج اسمه مصرحا به كبطل رئيسي للرواية، من خلال ذكر اسمه بلفظه ومن خلال تصريحه في البداية بأن الأحداث حقيقية، تروي تفاصيل سجنه هو مؤكدا عليها بالتواريخ والأماكن الحقيقية.

ثم نجد شخصية عكرمة، وهو شخصية أخرى بارزة داخل النص الروائي، حيث يصوره الراوي على شكل شخص ضعيف البنية كان يعمل خارج السجن على جمع الألغام، والتي كانت هي تهمته لدخول السجن، ويتصف أيضا بأنه شديد المجادلة والنقاش ونجد أيضا شخصية يوسف وهي من بين الشخصيات المحورية في الرواية ويصفه الراوي بقوله " عيناه هادئتان...دائى المودة إذا حادثك شعرت بقربه منك كأنك تعرفه من أمد بعيد"(العتوم، 2016، صفحة 70). وهناك الشخصيات الثانوية والتي تقدم بشكل بسيط بعيد عن التعقيد وذكر الوصف الدقيق لهم ولشخصياتهم والتماهي في سرد أحداثهم، فهي شخصيات آنية الحضور تأتي لمساعدة الشخصية الرئيسية على إتمام حبكة السرد، نذكر من بينها شخصية الشاويش وشخصية الحجى الذي كان يقدم له الطعام في زنانه الأولى قبل التحقيق، وشخصية المحققين الذين تداولوا على التحقيق معه.

التطابق التام بين المؤلف والسارد والشخصية: يعتبر التطابق التام بين المؤلف والسارد والشخصية أهم الشروط الأساسية التي يجب توفرها في النص، حتى يتم اعتباره نص روائي سير ذاتي. وكما لاحظنا من خلال السرد لشخصية أيمن، والذي هو كاتب الرواية " أيمن

العتوم" كما يتجلى هذا في الغلاف إضافة إلى اعتماده على ضمير المتكلم "أنا" والذي يحيل به على نفسه، والتصريح باسم أيمن كبطل للرواية، وهو ما يوحي بأن المؤلف والسارد والشخصية البطلة في الرواية واحد.

الشكل 2: تطابق المؤلف والسارد والشخصية



المصدر: من إعداد الباحثين

الخلاصة: بعد ولوجنا من خلال هذه الورقة البحثية إلى داخل النص الروائي الذي بين يدينا، والمتمثل في رواية "يا صاحبي السجن" لراويها أيمن العتوم نجد أنها تدخل ضمن عمل فني متداخل الأجناس، بين الرواية والسيرة الذاتية لينتج عن هذا التداخل ما يسمى بالرواية السيرة، فقد وظف الكاتب ما يسمى بالميثاق المرجعي، والذي يقرب بتطابق السيرة مع الواقع في تأكيد على عمله الفني المستجد، ومن خلالها وصف تجربة السجن بكل دقة ومشاعر توصل للمتلقى مرارة الأيام فيها، وقبضة السجن على المساجين وسطوة النظام على كل صاحب كلمة وحرف، لقد كانت هذه الرواية سيرة لكل سجناء الرأي لأنها قدمت معاناتهم على صفحات عميقة المعنى ليدرك القارئ ماهية التجربة وعذابها.

قائمة المراجع :

الكتب

- إبراهيم خليل. (2010). *بنية النص الروائي* (الإصدار الطبعة الأولى). الدار العربية للعلوم ناشرون.
ابن منظور. (1988). *لسان العرب تقديم عبد الله العلايلي* (المجلد الجزء 1). بيروت: دار الجيل، دار لسان العرب.
أيمن العتوم. (2016). *يا صاحبي السجن*. دار المعرفة للنشر والتوزيع.

حيدر علي الأسدي. (2019). *تداخل الأجناس الأدبية وأثرها الجمالي في النص المسرحي* (الإصدار الطبعة الأولى). دار امجد للنشر والتوزيع.

شعبان يوسف. (2014). *أدب السجون*. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

فيليب لوجون. (1994). *السيرة الذاتية، الميثاق والتاريخ الأدبي* (الإصدار الطبعة الأولى). المركز الثقافي العربي.

محمد البارودي. (2005). *عندما تتكلم الذات في السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث*. دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب.

محمد بوعزة. (2010). *تحليل النص السردى، تقنيات ومفاهيم*. الجزائر العاصمة: منشورات الاختلاف.

المجلات

عباس يد اللبي فارساني. (2019). الانزياح الدلالي في شعر أيمن العتوم ديوان "خذني إلى المسجد الأقصى" نموذجاً. *الأدب العربي*، 1.

محمد عروس. (2014). تداخل الأجناس الأدبية في النقد المعاصر. *مجلة كلية الآداب واللغات*، 14/15.

الرسائل والأطروحات

يمان كشتو. (2020). *تقنيات السرد في روايات الكاتب "أيمن العتوم"*. تركيا: معهد اللغات الحية، قسم اللغة العربية وثقافتها جامعة ماردين أرتكلو.

أسامة محمد علي حسين. (2017). *اللغة والسرد في رواية السجون (أيمن العتوم - صنع الله إبراهيم) دراسة وصفية تحليلية*. طنطا - مصر: جامعة طنطا.

الجرائد

جريدة السبيل. (18 ربيع الأول 1442).